من هم الأكابر؟

[جمع مختصر لبعض ما ورد من الأحاديث والآثار وتفاسير العلماء للمقصود بالأكابر والأصاغر ورد لبعض الشبه في هذا الباب]

جمع وإعداد

فهد بن عبدالعزيز الأحمد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

فإن من الأمور التي كثر الكلام فيها من بعض المخالفين للسنة وكثر التلبيس فيها : ما يقوله ويدعوا له أهل السنة وعلماؤهم من لزوم الأكابر واحترامهم ومعرفة قدرهم وفضلهم ، فاستغل بعض المخالفين هذا الأصل لاتخاذ زلات العلماء منهجاً و ألزموا الناس بالأخذ بها ، وقد قال ابن القيم – رحمه الله – : " والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وإبطاله وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد، وأن العالم قد يزل ولا بد؛ إذ ليس بمعصوم، فلا يجوز قبول كل مايقوله، وينزل قوله منزلة قول المعصوم؛ فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض، وحرموه، وذموا أهله وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم " . [إعلام الموقعين ٢ / ١٧٣]

وهذا بحث مختصر في هذا الباب ، قسمته على أربعة فصول وخاتمة وهي :

الفصل الأول : ذكر بعض ما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار

الفصل الثاني : ما المراد بالأكابر والأصاغر ؟

الفصل الثالث : من أمثلة العلماء المعاصرين الذي تصدروا للتأليف والتدريس وهم صغار في السن

الفصل الرابع : تنبيهات

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه : فهد بن عبدالعزيز الأحمد

١٠ / ٢ / ١٤٤٠ هـ

الفصل الأول : ذكر بعض ما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار :

* عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر) . [أخرجه ابن المبارك في " الزهد " برقم (٦١) و ابن عبدالبر في جامع بيان العلم برقم ١٠٥١ واللالكائي برقم ٩٠]

* وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (البركة مع أكابركم) . [أخرجه ابن حبان (١٩١٢) والحاكم في " المستدرك " (١ / ٦٢) قال الألباني : وقال الحاكم: " صحيح على شرط البخاري ". ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. السلسلة الصحيحة ٤ / ٣٨٠]

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (قد علمت متى يهلك الناس، إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا) . [أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم برقم ١٠٥٥ والشاطبي في الاعتصام ٣ / ١٠٠]

* وعن عبد الله بن مسعود قال: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من من قبل كبرائهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم هلكوا) . [أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم برقم ١٠٥٧ واللالكائي برقم ٨٩ برقم والشاطبي في الاعتصام ٣ / ١٠٠]

الفصل الثاني : ما المراد بالأكابر والأصاغر ؟

وقد فسر أهل العلم المراد بالأكابر والأصاغر ،

– فمنهم من قال : الأصاغر هم أهل البدع وهو قول عبدالله بن المبارك – رحمه الله – [الاعتصام للشاطبي ٣ / ١٠٠]

– ومنهم من قال : الصغير هو من لا علم عنده والكبير هو العالم في أي سن كان ؛ قال ابن عبدالبر : (قال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان مثله من الأحاديث إنما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده وأن الكبير هو العالم في أي سن كان . وقالوا: الجاهل صغير وإن كان شيخا، والعالم كبير وإن كان حدثا ... واستشهد بقول الأول حيث قال:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل) .

– ومنهم من قال : الصغير هو من لا قدر له ؛ قال الباجي : (ويحتمل أن يريد بالأصاغر من لا قدر له ولا حال، ولا يكون ذلك إلا بنبذ الدين والمروءة، فأما من التزمهما فلا بد أن يسمو أمره، ويعظم قدره) . [الاعتصام ٣ / ١٠١]

– ومنهم من فسره بالاتباع : قال أبو حامد الحضرمي : سمعت إبراهيم الحربي يقول في قوله: «لا يزالون بخير ما أتاهم العلم من قبل كبرائهم» معناه أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فهو كبير ، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير . [شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم ٩١]

الفصل الثالث : من أمثلة العلماء المعاصرين الذي تصدروا للتأليف والتدريس وهم صغار في السن :

١- الشيخ حافظ حكمي ، توفي وعمره ٣٥ سنة .

٢- الشيخ عبدالله الدويش ، توفي وعمره ٣٦ سنة .

٣- الشيخ عبدالسلام بن برجس ، توفي وعمره ٣٨ سنة .

رحمهم الله تعالى جميعاً

الفصل الرابع : تنبيهات

١- كثر في زماننا الكلام عن الأكابر والأصاغر فغلا فيه طائفة حتى صاروا يحاربون كل من تصدر للتدريس ممن لا يعدونه في الأكابر و جفا عن هذا طائفة أخرى فصاروا يعدون كل من تصدر للتدريس من الأكابر ويصفونه بأوصاف لم يقلها أحد فيمن هو أعلى و أعظم قدراً ،

والواجب التوسط في ذلك فمن أعطاه الله علماً وفطنة وذكاءً فما هو المانع في أن يدرس ؟ فقد أفتى جمع من الصحابة وهم صغار في السن وأكابر الصحابة متوافرون ولم يقولوا لهم مثل ما نسمع الآن ؛ فقد قال ابن عبدالبر – رحمه الله – : (واستشهد بعضهم بأن عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان يستفتى وهو صغير، وأن معاذ بن جبل وعتاب بن أسيد كانا يفتيان وهما صغيرا السن، وولاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الولايات مع صغر أسنانهما، ومثل هذا في العلماء كثير) .

وعقد ابن مفلح في كتابه " الآداب الشرعية " فصلاً بعنوان :

" فصل في أخذ العلم عن أهله وإن كانوا صغار السن " ، وقال فيه :

(قال الإمام أحمد : بلغني عن ابن عيينة قال : الغلام أستاذ إذا كان ثقة.

وقال علي بن المديني: لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني أحب إلي من أن أسأل أبا عاصم وابن داود ؛ إن العلم ليس بالسن.

وروى الخلال من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: قال عمر – رضي الله عنه – إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه، ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء) . [الآداب الشرعية ٢ / ١١١]

٢– يكثر الخلط عند بعض طلبة العلم بين الأكابر في العلم والأكابر في السن فتجدهم يصفون كل من كبر سنه بأنه من الأكابر وأنه علامة وأنه إمام ولو كان علمه قليلاً والعكس صحيح ، والصحيح أن يفرق بينهما فليس كل من كبر سنه صار إماماً وليس كل من صغر سنه صار من الأصاغر !!

٣– يحاول بعض المقلدة أن يتمسحوا بما جاء في لزوم الأكابر ، في الدفاع عن الأقوال الباطلة لبعض العلماء ، ويرد على هذا ابن دقيق العيد حيث قال عند حديث : عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه استشار الناس في إملاص المرأة فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي – صلى الله عليه وسلم – قضى فيه بغرة – عبد، أو أمة – فقال: لتأتين بمن يشهد معك، فشهد معه محمد بن مسلمة» .

قال ابن دقيق العيد : وفي ذلك دليل أيضا على أن العلم الخاص قد يخفى على الأكابر، ويعلمه من هو دونهم. وذلك يصد في وجه من يغلو

من المقلدين إذا استدل عليه بحديث فقال: لو كان صحيحا لعلمه فلان مثلا فإن ذلك إذا خفى على أكابر الصحابة، وجاز عليهم فهو على غيرهم أجوز . [إحكام الأحكام ٢ / ٢٢٩]

وقال الشيخ حمد بن ناصر آل معمر – رحمه الله – : (واعلم رحمك الله أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صادق وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة وهو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن يغمط مكانه وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين ...

ويكفي اللبيب في هذا ما قصه الله في كتابه عن بني إسرائيل مع صلاحهم وعلمهم أنهم بعدما فلق الله لهم البحر، وأنجاهم من عدوهم أتوا نبيهم قائلين {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} ، وكذلك ما رواه الترمذي وغيره أن أناساً من الصحابة في غزوة حنين أتوا عند النبي صلى الله عليه وسلم حين مروا بسدرة للمشركين يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط ، فقال: "الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} لتركبن سنن من كان قبلكم".

فإذا كان هذا قد خفي عليهم مع وضوحه وبيانه ، وقبلهم قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم وقد اختارهم الله على علماء زمانهم وخفي عليهم هذا وقالوا: يا موسى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} فهذا يفيد أن المسلم،

بل العالم قد يقع في أشياء من الشرك، وهو لا يدري فيفيد الحرص و بذل الجهد في البحث عما جاء عن الله ورسوله، ولا يقلد دينه الرجال فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا وأبى الله أن يصح إلا كتابه وأن يعصم إلا رسوله صلى الله عليه وسلم) . [النبذة الشريفة ص ١٦٩ - ١٧١]

٤- يحصر بعض مقلدة زماننا العلماء الأكابر في واحد أو اثنين من العلماء لأنهم قالوا بما يوافق أهواءهم ، فتراهم يكثرون من قول أنتم تخالفون الأكابر ، وأنتم تطعنون في الأكابر ، وأنتم ضد الأكابر ولا يقصدون إلا هذين العالمين مع أن بقية العلماء يخالفونهم ، بل إن هؤلاء المقلدة طعنوا في علماء كانوا يعدونهم من الأكابر لما خالفوهم ، بل اتهموهم بحب الرياسة والزعامة وغيرها من التهم الباطلة على طريقة اليهود لما قالوا عن عبدالله بن سلام – رضي الله عنه – : (خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا) فلما أسلم قالوا : (شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقصوه) ، نسأل الله العافية والسلامة

خاتمة

وختاماً :يتبين لك أيها القارئ الكريم :

١- أن الصغير هو من لا علم عنده والكبير هو العالم في أي سن كان .

٢- أن العلم الخاص قد يخفى على الأكابر، ويعلمه من هو دونهم وليس هذا طعناً في الأكابر -كما يزعم ذلك المقلدة - .

٣- أن العالم مهما بلغ علمه وعظم قدره فلابد وأن يغلط ، فإن الله أبى أن يصح إلا كتابه وأن يعصم إلا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فعلى المرء أن يبذل الجهد في البحث عن الدليل ، وأن لا يقلد دينه الرجال .

هذا والله أعلم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .